الفينيقيون في البرازيل

منذ ثلاثة آلاف سنة

[نشرنا في مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٦ صفحة ١٥٩ مقالةً عنوانها « العربية في اميركا قبل كولمبوس » قلنا في مطلعها ما يأتي : « أن يكون الناس قد دخلوا اميركا وسكنوها قبل كولمبوس وقامت لهم دول فيها ابنع عمرانها حتى فاق عمران الاسبانيين فاتحيها امر لا جدال فيه . واما ان يكون العرب قد وصلوا الى اميركا وسكنوها قبلما قصد اليها كولمبوس فامر قلما خطر على بال احد . لكن نشر في السنوات الاربع الماضية كتاب كبير في ثلاثة مجلدات الفهُ عالم من علماء جامعة هارفرد اسمهُ ليو وينر عنوانهُ « افريقية وكشف اميركا » اثبت مؤلفهُ فيهِ وجود كلمات عربية في لغات هنود اميركا » ثم اجملنا الكلام على الادلة التي جاء بها لاثبات قولهِ . وقد جاءتنا المقالة التالية من كاتب محقق نقلها عن عالم الماني محقق فاذا ما فيها اكثر غرابة من رأي الاستاذ وينر فاذا صحَّ ما فيها كشف الستار عن كثير من الغوامض التاريخية]

***

إنَّ ما يأتي نبأٌ غريبٌ انقلهُ الى قراء المقتطف بكل تحفظ وهو ان الفينيقيين اكتشفوا البرازيل وهاجروا اليها واسسوا فيها متاجر ، في القرن الحادي عشر قبل المسيح ومتى حصلت على معلومات جديدة اكتب ثانية بقلب اشد .

في الجمعية التاريخية في ولاية پرَنَمبُكو (البرازيل) اعلن الاستاذ لودوغ شفنهاغن Ludwig Schwenhagen انهُ اكتشف في شمال البرازيل طرقات ومناجم يرجع تاريخها الى القرن الحادي عشر ق . م . وكلها من آثار الفينيقيين . والحرّ شفنهاغن هذا استاذ علم الآثار في جامعة ڤينا

اكتشف الاستاذ نقوشاً متعددة على صخور متفرّقة في ولايات البرازيل الشمالية : الكتابة فينيقية تشرح مواقع المناجم وتعين مسافاتها ، والصخور قائمة على جانب طرقات تخترق شمال البرازيل كلهُ ، وتمتدُّ واحدةٌ منها غرباً بجنوب الى حدود ولاية ماطوغروسو على نهر پرغواي

والاستاذ لهُ الرأي الآتي في الحوادث التاريخية : « في ١٢٥٠ ق . م . اسس

الفينيقيون مستعمرة قادش للسيطرة على مدخل البحر المتوسط ، ومنها امتدوا فأسسوا مستعمرات كثيرة على سواحل اوربا وافريقية الاتلانتية . من هذه المستعمرات دَكَرْ Dakar ومعنى الاسم بيت فار . وفار هو ابو الشعوب الفارية

« وفي سنة ١١٠٠ ق . م . خرجت عمارة فينيقية عظيمة من دَكَرْ الى جزائر الرأس الاخضر وقطعت المحيط الى البرازيل . والمؤرخ ديودورس الذي عاش مدة طويلة في قرطاجنة الافريقية يذكر الحادثة كما يلي :

« بعد ما انشأ الفينيقيون مستعمرات ومدناً كثيرة على سواحل افريقية الغربية سيّروا عمارةً منها الى الجزائر (جزائر الرأس الاخضر) تقذفت الرياحُ المراكب عن الجزائر وبقي الملاحون يسيرون في عرض المحيط اياماً كثيرةً الى ان وصلوا الى جزيرة عظيمة سواحلها جميلة جداً ، تخترقها انهار صالحة للملاحة ، هواؤها معتدل ، وسكانها دمثو الاخلاق يسكنون بيوتاً تحاكي مصايف اغنيائنا

«و يذكر ديودورس ايضاً ان الفينيقيين وجدوا صيداً كثيراً ،وفاكهةً لذيذة،وطيوراً بهيّة الالوان واخشاباً ملوّنةً عطرة ، وذهباً وفضة وحجارة كريمة »

والاستاذ شنهاغن يقول ان الجزيرة الكبيرة التي يذكرها ديودورس هي البرازيل ولا عبرة بقوله « جزيرة » لان المؤرخين القدماء كانوا يطلقون اسم جزيرة على كل ارضٍ واقعة في البحر الكبير

« وفي ايام حيرام ملك صور وصلت عمارة فينيقية الى البرازيل وصعدت في نهر الامازون . وانشأ القادمون مستعمرة سوليموينز (Solimoes) الباقية الى اليوم . وسميت هكذا تكريماً للملك سليمان الحكيم صديق حيرام . ومن المعقول ان يكون جانب كبير من الفضة والذهب والجواهر التي قدمها حيرام الى سليمان ، مستخرجاً من مناجم البرازيل

« وكثرت مهاجرة الفينيقيين الى البرازيل حتى ان مجلس اعيان قرطاجنة منع المهاجرة الى « جزيرة المحيط العظيمة » لان اعضاءه خافوا من تناقص السكان

« وقام الفينيقيون بأعمال عظيمة في داخلية البرازيل . وكانوا يكلون أشغالهم الى مهندسين مصريين مأجورين ، ويستخدمون من سكان البرازيل الاصليين ، كما تدل النقوش على الصخور .

« وكانت اول محطة بحرية لهم بالقرب من راس سار روكز في ولاية ريوغراندي الشمالية (Rio Grande do Norte) ومدّوا من هذه المحطة طريقين احداهما تتجه

الى الجنوب الغربي حتى بلاد براغواي ، عند محطة السفن الصاعدة في نهر لا بلاتا

« على جانب هذه الطريق وعلى ابعاد مختلفة مائة « كتابة» تعين الجهات ،والمسافات بالمقاييس المصرية ، ومن هذه الطريق تتوزع طرقات فرعية الى المناجم المختلفة

« والطريق الثانية تمتد من ماروكو غربًا ، قاطعةً ولايات ريوغراندهْ وسيَاراه ، وبيَاوي ومَرَنيَوْنْ وبرَاه حتى أكري . واقسام كثيرة من هذه الطريق باقيةٌ الى اليوم صالحةٌ للاستعمال

« وفي جبل إبيَابابا آثار شلالات اصطناعية لاعمال الري ، وفي ولايتي سياراه وبياوي آثار احواض هائلة الاتساع

« اما المدن التي بناها الفينيقيون في الشمال فهي :

مَكَاباه ، طوباوْن ، طُوطُويَهْ ، كاموسين ، جَرِيكُوَارا ، أراكاتيه ، طورس (الارجح انها تحريف تيرس اي صور) وبياصابا

« وفي سنة ٣٣٢ ق . م . دمّر ذو القرنين مدينة صور . وفي سنة ١٤٦ ق . م . دمّر الرومان قرطاجنة ، فانقطعت الملاحة بين البرازيل والبحر المتوسط

« ولمّا انفصل الفينيقيون ورفقاؤهم المهندسون المصريون عن اوطانهم سار فريقٌ منهم شمالاً فاسس المدنية المكسيكية ، وتوجّهَ فريق غربًا فأوجد المدنية البيروانية »

والاستاذ شتنهاغن ، على ما رُوِيَ ، يصل البحث بالبحث في كل ولايات الشمال آملاً ان يميط اللثام عن اسرار تاريخية كثيرة

ومن محادثاتي لبعض الادباء من الشمال صرت ميّالاً الى الاعتقاد بصحة هذا النبإ . وقد وعدني احدهم بكراريس وكتب تحوّل الميل الى اعتقادٍ راسخ . فاذا قام بوعده وافيت قراء المقتطف بوصف قفار الداخلية في شمال البرازيل وما فيها من الآثار الفينيقية . والذي استحصلتهُ ان عادات كثيرة في شمال البرازيل شرقية محضة يعود اصلها الى ما قبل مجيء البرتغاليين الى اميركا الجنوبية

***

اذا ثبتت صحة هذه الآثار جاز لي ان افرض ان «اتلنتيدا » المشهورة في البرازيل . وعندي ان هذا الفرض اقرب الى التصديق من فرض وجود قارّة ، في وسط المحيط الاتلانتي ، غاصت بين عليها

اتلنتيدا ذكرها افلاطون وذكرها كثيرون بعده ، وتعدّدت المذاهب والآراء

لشأنها. ومن الذين ذكروها الشاعر دانتي، قال القارئ ما جاء في النشيد السادس والعشرين من الجزء الاول (الجحيم) من روايته العربية الاصل

عولس (حكيم الاغريق في حرب طروادة) يخاطب دانتي من النار :

« سرت حتى وصلت الى ايبيريا ومراكش فشاهدت شواطئها ، وشاطئ سردينيا وبقية الجزر التي يحيط بها ذلك البحر . وكان الشيب قد كلل رؤوسنا لما بلغنا الى المضيق جعله هرقل حدًّا لا يتعداه الناس (جبل طارق) فخاطبت رفقائي قائلاً :

(ايها الاخوان ، قد وصلتم الى الغرب بعد معاناة اهوال لا تخفى ، فلا تبخلوا على البقية الباقية لكم ، من العمر ، بمعرفة العالم الواقع في مجه الشمس . تذكروا الارومة التي منها نشأتم وانكم لم تخلقوا لكي تعيشوا عيشة البهائم ، بل لكي تتبعوا الفضيلة والعلم)

« قلت هذا ثم حولنا ظهورنا للشرق واتخذنا من مجاذيفنا اجنحة للطيرة الجنونية ، فكنا نسير الى الغرب منحرفين الى اليسار . وصرنا نشاهد نجوم القطب الآخر ونجوم قطبنا لا ترتفع فوق الافق . خمس مرات ذر قرن الهلال وتكامل ضوء البدر ونحن في البحر الكبير . ثم لاح لنا عن بُعد جبلٌ حسبتهُ أعلى جبال الارض . فطرنا فرحًا به . ولكن سرعان ما تحول فرحنا الى غم لان زوبعة هائلة هبت علينا من الارض الجديدة وصدمت مقدم سفينتنا ، ثم برمتها ثلاثًا مع ما حولها من الامواج ، وفي البرمة الرابعة رفعت المؤخر وغطست المقدم فابتلعنا اللجّ »

فمسيرة مائة وخمسين يومًا غربًا بجنوب من جبل طارق ، وقطع خط الاستواء يدلان على اميركا الجنوبية اكثر مما يدلان على جزيرة كبيرة في وسط المحيط الاتلانتي

زد على هذه الآثار التي اكتشفها النقابون في البرازيل ، افلا يجوز ان نفرض ان الاقدمين دونوا في كتبهم اخبار اميركا الجنوبية تحت عنوان « اتلنتيدا »؟

والذي يقرأ الكتب القديمة ووصف دانتي غطة السفر (وهو بالطبع اخذها عن الذين تقدموه) كيف يقدر ان يصدق ان كولمبوس حاول السفر الى بلاد الهند بحرًا ليُنقذ الانسانية من تعب التحصيل على الجمال ؟ انا لا اتصور كولمبس و پدرو ألفرس كبرال — (مكتشف البرازيل) الا كتاجرين مغامرين اطلعا على سر الملاحة القديمة فأقدما على عملها حافظين للسر كما تقتضي كل تجارة كبيرة

اني لا اتجاوز حد الفرض في الوقت الحاضر ، وفوق كل ذي علم عليم

كور بتيبا — البرازيل توفيق داود قربان